

التفسير المطول - سورة المائدة ٥٠٠ - الدرس (٤٩-٥٣) : تفسير الآية ٢ ، التعاون على البر والتقوى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٨-٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أي أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب وأي نهي يقتضي الترك :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثالث من دروس سورة المائدة ومع قوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

أيها الأخوة، بدأ ذي بدء إن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم نقم قرينة على خلاف ذلك، أي أمر يقتضي الوجوب، وأي نهي يقتضي



الترك، إلا إذا كان أمر تهديد قوله تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ﴾

[سورة الكهف: ٢٩]

فليكفر لام الأمر، هذا أمر تهديد، أو إذا كان أمر إباحة.

﴿وَكُلُّوا وَاشْرِبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

[سورة البقرة: ١٨٧]

أو إذا كان أمر ندب.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور: ٣٢]

التناقض بين الطبع و التكليف ثمن الجنة :



إن لم يكن هناك ندب ولا إباحة ولا تهديد فالامر يقتضي الوجوب، وكيف أن الله أمرك أن تصلي والصلاه فرض، لأن الله أمرك أن تصلي، في قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾

[سورة طه: ١٤]

الصلاه فرض لأن الله أمرك أن تصلي



التناقض بين الطبع و التكليف ثمن الجنة

كذلك الأمر بالتعاون فرض، أمر يقتضي الوجوب، وتعلمون أيها الأخوة أن في الإنسان طبعاً ومعه تكليف، وبديهي أن الطبع يتناقض مع التكليف، فإذا أمرك الله أن تصلي الصلوات الخمس وأول هذه الصلوات صلاة الفجر ينبغي أن تستيقظ وجسمك يطلب أن تبقى نائماً، فهناك تناقض بين الرغبة في النوم والاستيقاظ لصلاة الفجر وكما أن الله أمرك أن تغض البصر

والنفس تميل إلى إطلاق البصر، فهناك تناقض بين الطبع وبين التكليف، وهذا التناقض بين الطبع وبين التكليف هو ثمن الجنة، وكيف أن الله أمرك أن تتفق المال والطبع يقتضي أن تأخذه وهذا التناقض بين الطبع وبين التكليف هو ثمن الجنة، وكيف أن الله أمرك أن تتعاون والطبع يقتضي الفردية، أن تؤك فرديتك، أن تؤك ذاتك، أن تعيش وحدك ويموت الناس، فالإنسان مكلف أن يتعاون وطبعه فردي، لذلك بقدر طاعتك لله تتعاون، وبقدر معصيتك له تكون فردياً، والمجتمعات الجاهلية مجتمعات فردية، الأنا مسيطرة، والمجتمعات الإسلامية مجتمعات تعاونية، مصلحة المجموع تغلب فردية الفرد.

أول شيء أيها الأخوة أن فعل تعاونوا أمر، وهذا أمر يقتضي الوجوب، وأن التعاون تكليف، ينافسه الطبع الفردي، فأنت حينما تقوم لتصلي وجسمك يميل إلى الراحة، بينما تغض البصر وأنت تميل إلى إطلاق البصر، بينما تغالب النوم وتستيقظ لتصلي هذا هو عند الله ثمن الجنة.



مليون خبرة ساهمت بوصول رغيف الخبز إليك

قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

أما كلمة (وتعاونوا) فعل أمر من عاون، عاون على وزن فاعل، صيغة مشاركة، وفي اللغة العربية صيغة المشاركة من أبرزها وزن فاعل، مثل: قاوم وقاتل ودافع، أي الفاعل يكون تارةً فاعل وتارةً مفعول به، لماذا الأمر بالتعاون؟ لم يقل: أعينوا؟ أعينوا

الفعل من طرف واحد، لكن شاءت حكمة الله أن تتقن شيئاً في حياتك، وقد تتقن شيئاً أو ثلاثة، لكن هذا الشيء الذي تتقنه محدود، أنت بحاجة إلى مليون خبرة، تتقن واحدة، أوضح مثل هذا الرغيف الذي تأكله صباحاً، اشتريته من البقال، البقال جاء به من الفرن، الفرن في الليل عجن الطحين، وخرم العجين، ورقق الأرغفة، ووضعها في الفرن، هذا الطحين جيء به من المطحنة، المطحنة أخذت القمح وغسلته، وهيأته، وطحنته، والمطحنة جاءت بالقمح من الفلاحين الذين زرعواه، لو عدلت الذين ساهموا في هذا الرغيف الذي تأكله صباحاً، وفي طبق الطعام، هذه المداجن الكثيرة التي تأتي بالفراخ وتربيتها، وتعتني بها، تدفعها، تعطعها، تعالجها من أمراضها، أنت بحاجة إلى مليون خبرة وحاجة، تتقن حاجة واحدة، من أجل أن ترتدي ثياباً هناك معامل للقماش، هناك معامل أصبغة لصبغ القماش، هناك معامل لغزل الخيوط، هناك من يحصد القطن، ثوب تلبسه يدخل في إعداده آلاف الأشخاص، من أجل أن تعالج ابنك عند الطبيب، هذا الطبيب درس ثلاثين سنة، علم التشريح، علم الفزيولوجيا، علم الأمراض، علم الأدوية، ثم التدريب العملي، ثم جاء بالدبلوم، ثم ماجستير، ثم دكتوراه، ثم بورد، درس من ثلاثين إلى خمس وثلاثين سنة حتى يستطيع أن يقول لك: أعطي ابنك هذا الدواء، فالطبيب أتقن شيئاً، ومعلم ابنك في الرياضيات درس سنوات طويلة حتى أتقن الرياضيات، وعلمه المعادلات والجبر والهندسة وما إلى ذلك، وأستاذ الجغرافيا، وأستاذ التاريخ، وأستاذ الفلسفة، وأستاذ اللغة العربية، ثم الكليات المتعددة في الجامعة، ثم من أجل أن تنتقل تحتاج إلى مرتبة وهذا المعمل للمركبات عمره مئة عام، كل سنة فيه تحسين، فشبكة العلاقات العقل لا يصدقها، ستة آلاف مليون إنسان كل إنسان يتقن شيء ويسمى بذلك أو بأخر في تقديم هذه الحاجة، بينما تشرب كأس من الشاي هل تدرى أنه لو لا أن البحار تدفع الأجسام إلى الأعلى لما كان هناك سفن، ولا كان هناك ملاحة في البحر، بواخر تحمل آلاف الأطنان من الشاي تنقله من الهند إلى الشرق الأوسط، هذه البوادر الضخمة

العلاقة بعضها يحمل مليون طن كيف صنعت؟ من صممها؟ كيف يقودها؟ كيف خطط لها؟ أنت فكر بكل شيء تستخدمه، أحياناً ترتدي قميص، هذا الزر الذي خيط معه له معامل أنسائه، هذا المقص الذي تقلم به أظافرك معامل صنعته، هذه الشفرة التي تستخدمها أحياناً، هذه الفرشاة التي تصنعاها، معامل، أي أنت أمام مليون مليون حاجة وسمح الله لك أن تتقن حاجة أو أكثر، فأنت مقهور أن تكون مع أخيك، ابنك يحتاج إلى مدرسة، وانتقاله يحتاج إلى مركبة، والمدرسة يحتاج إلى من ينظف هذه المدرسة، وإلى من يعلم، وإلى من يدير المدرسة، وإلى من يراقب، ويحتاج الطفل إلى شيء يأكله في النهار، إذاً هناك من بيعه الطعام، يحتاج إلى شيء يعينه على استذكار الدروس؛ يحتاج إلى آلة حاسبة فرضاً، أو إلى أجهزة كثيرة.

في الإسلام عبادات جماعية من أجل أن نكون مع المجموع :

إذَا، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

أي أن التعاون قدر أولاً، شئت أم أبيت إن لم تتعاون لا تعيش في الحياة، لكن شاعت حكمة الله أن يكون هذا القهر في الاجتماع طريقاً إلى الجنة، أنت من خلال وجودك مع البشر يمكن أن تكون صادقاً كما يمكن أن تكون كاذباً، يمكن أن تكون مخلصاً كما يمكن أن تكون خائناً، يمكن أن تكون متلقاً ويمكن أن تكون غير متلق، يمكن أن تفي بوعدك أو لا تفي، يمكن أن تتجزء عهداً أو لا تتجزء، فأنت مقهور بوجودك مع البشر، ولا يستطيع واحد في الأرض أن يعيش وحده، لذلك نجد في الإسلام عبادات جماعية، أنت حينما تصلي بالمسجد صلاة الجمعة تفوق صلاة الفرد بسبعين وعشرين ضعفاً، والحج جماعي، والصوم جماعي، والصلوة جماعية، وأحاديث كثيرة جداً تأمرك أن تكون مع المجموع.

((عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ،
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ
الْأَثْنَيْنِ أَبْعَدُ))

[رواية ابن المبارك عن محمد بن سوقة]

((فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّئْبُ مِنَ الْغَنِيمَةِ))

[أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمر]

العبادات جماعية



أمرك أن تتعاون، والتعاون فعل مشاركة أي تعينه ويعينك، تقدم له خدمة و يقدم لك خدمة، تتصحه وينصحك، تمنحه وينحك، تعطيه خبرتك ويعطيك خبرته، أوضح مثل الإنسان يشعر

بالاضطراب في صحته فيذهب إلى الطبيب، في هذا الموقف هو أدنى من الطبيب، وقد يذهب إنسان بمنصب رفيع جداً يشكوا ألمًا في قلبه يقف أمام الطبيب وهو متأنب، لأن الطبيب في هذا الموقف أعلى من المريض، الطبيب نفسه يسمع صوتاً غريباً في مركته فيذهب إلى الميكانيكي، ويقف بأدب ويسأله ألهذه المشكلة حل أم لا بد من تغيير المحرك؟ في هذا الموقف الطبيب دون الميكانيكي، فأنت في النهار الواحد مئات المرات دون إنسان فوق إنسان، باختصاصك أنت فوق، بغير اختصاصك أنت تحت، أحياناً تمسك تخطيط قلب أنت عالم كبير ودارس عقيدة وفقه ومواريث وعلم تفسير وعلم حديث وفقه مقارن وتاريخ التشريع الإسلامي وعندك فلسفة عميقة جداً تُعطى تخطيط قلب فلا تفهم منه شيئاً، أمي، أنت أمام هذا التخطيط أمي، والذي معه أعلى شهادة بأمراض القلب أمام آية أمي، يقول لك: ما معنى هذه الآية يا أستاذ؟ حررت في معنى هذه الآية.

القيم التي جاء بها الدين هي الدين نفسه :

كل إنسان باختصاصه أستاذ، بغير اختصاصه طالب علم أو أمي قد يكون، هكذا شاعت حكمة الله أن تكون الحياة متشابكة، لكن وأنت مقهور أن تكون في مجتمع ينبغي أن تكون صادقاً ليكون الصدق سبب دخول الجنة، ينبغي أن تكون متقدماً ليكون الإنقان سبب دخول الجنة، ينبغي أن تكون أميناً لتكون الأمانة سبب دخول الجنة، ينبغي أن تكون مخلصاً ليكون الإخلاص سبب دخول الجنة، بهذه القيم التي جاء بها الدين هي الدين.



كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام
ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع
الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي
منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث
الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وغافره فدعانا إلى الله عز وجل
لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن
وابأؤنا من دون الله من الحجارة
والأوثان — الآن دققوا — وأمرنا

بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.
أنت مقهور أن تكون مع المجموع، شئت أم أبيت، أحببت أم كرهت، فيبين أن يكون هذا المجتمع طريقاً إلى الجنة وبين أن يكون هذا المجتمع طريقاً إلى النار، أنت بلقائك مع الناس إما أن يكون هذا اللقاء وهذا التعاون وفق منهج الله سبباً لدخول الجنة وإما أن يكون هذا التعامل مع الناس

سيبأً لدخول النار، فهذا الذي يعتدي، يأخذ ما ليس له، يكذب، يدلس، ينافق، يشتم، يوقع الأذى بالآخرين، هذا يمشي في دركات النار، وهذا الذي يصدق، ويؤتمن، ويحسن، وينصح، هذا في طريق الجنة، فالله عز وجل يقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

لأنني أردتكم أن تكونوا مجتمعين، الشيء الدقيق أيها الأخوة، أن هذا التعاون ليس بين المؤمنين فقط، المطلق في القرآن على إطلاقه، ممكن تعاون مع أي إنسان، فالتعاون شيء والود شيء آخر، ودك محبتك للمؤمنين، لكن تعاونك مع كل الخلق.

وجوب معاملة كل الناس بالعدل حتى ولو كانوا غير مسلمين :

قال تعالى:

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِمُوا لَهُمْ﴾

[سورة التوبة: ٧]

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

[سورة المتحدة: ٨]

أنت مكلف أن تتعاون مع كل الناس، وعلاقات العمل لا شائبة فيها ما دام

العمل منضبط بالمنهج الإلهي، ولا

يوجد أي مخالفة شرعية، لك أن تتعامل مع أي إنسان، مع المسلمين ومع غير المسلمين، بل إنك إن تعاملت مع غير المسلمين ولم تكن عادلاً معهم وقعت في إثم كبير، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾

[سورة المائدة: ٨]

مع من؟ مع من تكرهونهم، ولا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا، العدل فوق الجميع، يجب أن تعامل كل الناس بالعدل.

سيدنا عمر له أخ قتله إنسان في الجاهلية ثم أسلم، انتهى، قال له: أتحبني؟ قال له: والله لا أحبك - ما في مجاملات هنا - قال له: هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله، لا يمكن أن أمنعك حرقك.



العدل فوق الجميع

اللود شيء وتعاون شيء آخر :

المسلم منفتح، المسلم متعاون مع كل الناس، هذا أمر موجه لكل البشر لا للمسلمين فقط:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

أي سكان بلدة فيها عدة أديان فرضاً، المفروض أن يتعاونوا لصلاح هذه البلدة، لتأمين فرص العمل، لتأمين مصالح الناس، تأمين أغذيتهم، مساكفهم هذا مندوب أيضاً:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

اللود والحب شيء آخر، اللود والحب للمؤمنين، لكن التعاون لجميع الناس:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

الإنسان أحياناً ضيق أفقه، ولجهله بأحكام هذا الدين لا يتعاون إلا مع المؤمنين، طبعاً إذا قادني التعاون مع غير المؤمنين إلى معصية ممنوعة المعصية، أنت تمتلك لا عن التعاون تمتلك عن المعصية فقط، أما لو أن التعاون وفق منهج الله، أي لو أن بلدة بحاجة إلى مشروع وفتح باب للتبرع، ما الذي يمنع أن تسهم مع كل سكان هذه البلدة في إنشاء هذا المشروع الحيوي هذا ضمن الدين؟ والنبي عليه الصلاة والسلام حضر حلف الفضول، وحلف الفضول حلف ليس إسلامياً لكنه حلف يقوم على تحقيق العدل للمجتمع بأكمله، هذه العقلية لو ملكها المسلمين كانوا في حال غير هذه الحال، أي أن يكون في الحياة مسلم وغير مسلم هذا واقع، وهذا الغير مسلم ما دام في قواسم مشتركة، ما دام هناك وسائل منها شرعية ينبغي أن نتعاون.

البر هو الفطرة :

قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾



على ماذا؟ هنا المشكلة، هذا الكلام كله عن التعاون هذا الكلام كله عن معنى التعاون، فعل أمر، وأمر يقتضي الوجوب، والمطلق على إطلاقه والصيغة مشاركة، تعينه ويعينك، لكن على ماذا أتعاون؟ عرف من المتعاون، الأمر موجه إلى المسلم، ومن الذي ينبغي أن نتعاون معه لكل الناس، والفعل مشاركة، لكن على ماذا؟ قال:

﴿عَلَى الْبِرِّ﴾

ما هو البر؟ البر بتعريف النبي صلى الله عليه وسلم التعريف الجامع المانع؛ البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك وخشيته أن يطلع عليه الناس، طبعاً إضافة الماء للحليب لا تكون أمام الشاري، مستحيل، تكون في غرفة سرية، إضافة الماء للحليب تكون بمعزل عن المشتري، إذاً هذا إثم، فأي عمل تفعله تحت ضوء الشمس ولا تخشى أن يلومك أحد عليه، أي فعل تفعله وأنت واثق أن الناس لن ينالوا منك هو البر، أي الفطرة، لم سمى الله المعروف معروفاً لأن الفطرة السليمة تعرفه ابتداءً، ولم سمى الله المنكر منكراً لأن الفطرة السليمة تتكره ابتداءً.

أنا لا أنسى وقت مناسب جداً لسوق هذه القصة، سمعت من صديق لي أن محطة فضائية عرضت مقابلة مع شاب مجرم اغتصب أكثر من خمس عشرة فتاة ثم قتل كل هؤلاء الفتيات، حكم عليه بالإعدام، باحثة اجتماعية طلبت من النيابة العامة إجراء حوار مع هذا الشاب، فالذى جرى أنها سألته: أتفقأ؟ قال: لا، جاهل، قالت له:



حجاب المرأة يحفظ غرائز الشباب من الإثارة

أتفقأ؟ قال: لا أعرف الصلاة، قالت له: أتعرف الفاتحة؟ قال: لا، قالت: هل شهدت أنه لا إله إلا الله في حياتك مرة؟ قال: ما هي الشهادة؟ قالت: لا إله، قال لها: كلمة كلمة، حتى أتفقأ لا إله إلا الله أكثر من دققتين، سقطت هذه التفاصيل لتعلموا أنكم أمم إنسان لا يفقه شيئاً، كثرة جهل، فسألته: لم تغتصب هؤلاء الفتيات ثم تذبحهن؟ قال: من لباسهن، قالت له: وإذا رأيت فتاة محجبة؟ قال: والله الذي يتكلم معها كلمة أفتله، أرأيتم إلى هذا الجهل المطبق! هذه الفطرة، أن هذه إنسانة محجبة محترمة لا تثير غرائز الشباب، لا تثير عواطفهم ومشاعرهم، لا تعتمدي على أحد، المرأة حينما تظهر مفاتنها تعتمدي على من ينظر إليها، تعتمدي عليه، تتجه إلى الانحراف، هذا الشاب الجاهل المجرم المحكوم بالإعدام قال: السبب من ثيابهن، فأنا خطر في بالي مصطلح جديد اسمه تحريش الفتيات بالشباب عن طريق الثياب فقط، فلما سأله: وهذه التي تراها محجبة؟ قال: من يكلمها كلمة أفتله، هذه فطرة، هذه إنسانة شريفة، هذه ظاهرة، هذه امرأة لزوجها، لأولادها، لمحارمها، مفاتنها ليست لكل الناس، هي تعتمدي في المجتمع.

التعاون يجب أن يكون على البر وعلى ما ترتاح له الفطر السليمة :

أيها الأخوة، صار معنى التعاون على البر، على ما ترتاح له الفطرة، على ما هو معروف من قبل الفطر السليمة، لو أناً أنشأنا بناء بشكل متعاون، ما في مانع، مقبول، لو أنشأنا جمعية خيرية، مقبول، لو أنشأنا جمعية لمكافحة التسول، مقبول، لو أنشأنا مستوصف دار أيتام، دار عجزة، لو أنشأنا مكتب لفرص العمل، جيد، لو أنشأنا مكتب للزواج جيد جداً، لو أنشأنا بناء على طرق السفر لينام فيه المسافرون، جيد، أي شيء تقبله الفطر السليمة وترتاح له النفس يجب أن نتعاون عليه، أرأيتم إلى هذا الشمول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾

البر ما اطمأنت إليه النفس، ترتاح، في مشاريع رائعة، كل واحد منا فرضاً يكون في وليمة يشعر أن هذه الوليمة دفع ثمنها مبلغاً كبيراً جداً، وأن هذا الطعام لم يؤكل خمسه، فإذا أنشأت جمعية لجمع هذا الطعام الزائد، وإعادة تصنيعه بالإضافة بعض المواد الأساسية، ثم وضعه في علب وتقديمه للقراء، أليس هذا العمل رائعًا، هل يتعرض أحد؟ أبداً:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

أيها الأخوة، البر الأعمال التي ترضاهما الفطر السليمة، وتعرفها ابتداءً من دون تعليم، ألف عمل يقوم به إنسان ولا يتكلم أحد كلمة من مئة مليون، عمل طيب، لو أنشأنا مستشفى، وجئنا بأطباء متخصصين لمعالجة الأمراض، جيد، لو فتحنا مدارس، لو نظمنا حياتنا، لو نظمنا أمورنا، لو جعلنا لكل شيء نظام دقيق ن nisiي عليه كي يعيش الناس براحة وسهولة وبيسر هذا هو المطلوب:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾

البر هو صلاح الدنيا أما التقوى فصلاح الآخرة :



لكن الدنيا محدودة، ستون سنة عشت حياة رائعة، بعد ذلك يوجد أبد، قال لك: والتقوى؟ التقوى طاعة الله عز وجل، يجب أن تبذل جهداً كبيراً جداً فضلاً عن صلاح الدنيا بصلاح الآخرة، أن تطلب العلم، أن تعلم العلم، أن تأمر بالمعروف، أن تنهي عن المنكر، أن تقوى ارتباط الإنسان بالله

عز وجل، أن تشد همته إلى الله عز وجل هذا مطلوب، فكل إنسان يتعلم القرآن ويعلمه، يتعلم الفقه ويعلمه، يتعلم الحديث ويعلمه، يكون قدوة لغيره، يدعوك إلى الله عز وجل، إلى معرفته، إلى طلب العلم هذا أيضاً مشمول بهذا الأمر:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾

أي على صلاح الدنيا:

﴿وَالْتَّقْوَى﴾

التقى صلاح الآخرة، أي لعل الأجانب اقتصرت على صلاح الدنيا فقط، مجتمعات فيها تعاون كثير جداً والتعاون عندهم، يربون أبناءهم عليه في سن مبكرة جداً، حتى إنهم إذا أرادوا موظفاً من الشروط التي تلفت النظر أن يصلح للعمل ضمن فريق يتعاون، والبلاد المختلفة – وهذا شيء مؤلم جداً – فضلاً عن أنها متعددة أفرادها لا يتعاونون، يحطمون بعضهم بعضاً، فالتعاون رقي، والتعاون دين، والتعاون خلق، والتعاون حضارة، والتعاون قوة، ألا ترى إلى المسلمين ماذا حل بهم من فرقتهم، ومن عدم تعاونهم؟ ومن أن يأسهم بينهم، ومن أن كل واحد منهم يريد أن يلعن الآخرين، أرأيت إلى هذه النتائج التي لا ترضي صديقاً ولا عدوًّا؟

الشياطين يتعاونون على الإثم والعدوان :

قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا﴾

وفي آية أخرى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٤٦]

تضعنوا:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾

لكن الشياطين يتعاونون:

﴿عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

يتتعاونون على إفساد البشرية، سبعمئة مليون امرأة و طفل يعملون في الدعارة، سبعمئة مليون في العالم ي عملون في الدعارة، وقد غرر بهم، هؤلاء يتعاونون على جلب أموال خالية، وأول تجارة في العالم تجارة المخدرات، أول رابحة تجارة في العالم للمخدرات، أربح تجارة، تحتاج إلى



تجارة المخدرات أول رابحة تجارة في العالم

تعاون، إلى مراقبة الطريق، وإلى إخفاء المهربات بشكل ذكي جداً:
 ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

مثلاً إنسان خرج إلى المطار ليسافر ورجله مكسورة، وهي مجردة، وجاء من يتصل أن هذا المسافر على الطائرة الفلانية بالرحلة الفلانية مهرب مخدرات، فانتبهوا أوقفوه، كسرروا الجبصين ما في شيء، فتشوه لا شيء أبداً، اعتذروا منه، ذهب بالرحلة الثانية، بالرحلة الثانية وضع المخدرات، أليس هذا عمل ذكي! عمل ذكي جداً، في تعاون على تهريب المخدرات، على إيقاع الفتيات الغافلات بفخ الدعاية، في تعاون على إيهام الشاري.

الإثم أن تنقطع عن الله عز وجل :

والله أخ قال لي: قبل يومين أناس يلعبون بالقمار على الرصيف، وهو ماشي قطع مسافة جيدة، يأتي إنسان ينبهه أن هذا مسكين أتى من بلاد بعيدة معه قرشين أخذوه منه، وصف له وصفاً يسمى له القلب، وقابض قبضة، رجع حتى يسأل، اعتبروه شريك بالمقامرة وضربوه وأخذوا منه النقود، تمثيل، والآخرين تمثيل، أنا أتيت بحالات حادة طبعاً، لكن هناك مليون تعاون على الباطل، مليون تعاون على الإثم، مليون تعاون على العدوان، مليون تعاون على أكل الحقوق، مليون تعاون على تحقيق ربح غير شرعي:

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾

إله يقول:

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾



الإثم أن تنقطع عن الله عز وجل، يقول لك: أنا لا أؤذي أحد، كلام طيب، إيماني بقلبي أستاذ، لا أؤذي أحد أبداً، فعلاً لطيف ناعم، إذا خلا ارتكب كل المحرمات فيما بينه وبين نفسه، لم يفعل شيئاً، هذا إثم، أي هذا الأمر قطعك عن الله عز وجل، قطعك عن الذي خلقك، قطعك عن سبب التوفيق، أحياناً إنسان لا يؤذى أحداً لا يعتدي

لكن هو يقع في الإثم، أي أحياناً أنت مهمتك الوحيدة أن تصلاح هذه الأجهزة وتتأتي بالمحطات البعيدة، هذا عملي، ماذا تفعل أنت بالمجتمع؟ تهياً للناس بسهراتهم أن تأتיהם بأبعد المحطات ليغرقوا في الإثم، أليس كذلك؟

((إن روح القدس نفث في رويعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في
الطلب))

[رواه البزار عن حذيفة]

واستجملوا مهنيكم، أنا أبيع مثلاً طاولة زهر مربحة مئة بالمئة، لكن أنت تعين الناس على هدر أوقاتهم وإيقاع العداوة بينهم، من لعب الفرد فكأنما غمس يده في دم خنزير ولحمه، فقد تبيع شيئاً محرماً، تصلاح شيئاً محرماً، تتاجر بشيء محرم، تبيع شيء أنت لا تقبله، دار نشر، في كتب فيها ضلالات، أحدهم قال كلمة هي تبدو مستهجنة جداً: لئن تبيع الخمر أهون من أن تبيع كتاب فيه ضلالات، شارب الخمر يتوب، لكن هذا الذي اعتقاد خطأ وسار على خطأ طوال حياته، هذا لا يتوب، أنت تقول: أنا أبيع كتاباً لا علاقة لي، لا، لك علاقة، تبيع كتاباً فيه ضلالات، تبيع كتاباً فيه شبهات، تبيع كتاباً يدعو إلى معصية، تبيع كتاباً يحل الربا فرضاً، تبيع كتاباً يظهر الدين على أنه سلوك غبي متطرف لا يتناسب مع العصر، تحت اسم مكتبة هذا لا يصح.

أي عمل ينشأ عنه معصية أو مخالفة هذا العمل له حساب عند الله عز وجل :

قال تعالى:

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

أحياناً تجمع بعملك شباب وشابات، هل تدري ماذا يحصل بينهم من مخالفات شرعية؟ فالقضية لا ترونها تضيقاً، لا والله ولكن سلامه أيها الأخوة، إذا كان عملك ممكن أن ينتج عنه معصية، قد تقول: مطعم، أهل عمل المطعم؟ في زوايا إضاءة خافتة، من يأتي إلى هذا المكان؟ يأتي إلى هذا المكان من عنده شبهة، عنده مشكلة، فأنت يجب ألا تكون سبباً لمعصية، لمخالفة شرعية، لإثم، لعدوان:

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

أي اتق أن تعصي الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

أنا أستميحكم عذرًا ذكرت بعض المهن لا على سبيل أنني أعد هذه المهنة محرمة لا، لكن أية مهنة، أية حرفة إذا لابسها حرام فالحرام هو الحرام لا الحرفة، أن تبيع طعام هذا عمل حلال مئة بالمئة، لكن إذا رافق بيع الطعام علاقات لا ترضي الله عز وجل فالذى جمع هؤلاء في مكان عليه مسؤولية، أي عمل ينشأ عنه معصية أو بعد عن الله أو مخالفة هذا العمل له حساب عند الله عز وجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

لكن لا يوجد نظام من دون — بالتعبير الفهي — المؤيد القانوني، مثلاً قانون السير، اقرأً قانون السير: من يقود مركبة بلا شهادة تسحب الإجازة منه تسحب المركبة ويدفع مبلغ كذا، من يقف في مكان ممنوع، كل أمر ونهي فيه عقوبة، الله عز وجل قال لك:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

يجب ألا نبني ثرواتنا على فساد أخلاق المجتمع :

إنسان صاحب دار سينما حدثي أحد أقربائه كان طالباً عندي، قال: كل ما كان الفلم فيه إثارة أكثر فيه أرباح أكثر، فكان يعتمد أن يأتي بالأفلام المثيرة جداً، والشباب ينخرطون بهذه الشهوة الحرام، وقد ينحرفون بعد الفلم ما لا يعلمه إلا الله، فجمع ثروة كبيرة جداً، وهو في مقتل الحياة أصابه مرض خبيث، فقال لقريبه وهو تلميذه،



قال له: جمعت أموالاً طائلة حتى أتمتع بخريف عمري فإذا أنا أموت بهذا السن، أیقн أنه ميت، ومات:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

لا تبني ثروتك على فساد أخلاق المجتمع، لا تبني ثروتك على إفقار الناس، لا تبني ثروتك على إضلال الناس، لا تبني ثروتك على فساد ذات البين، والله هناك أعمال أيها الأخوة لا يعلمها إلا الله تفرق بين الزوجين، تفسد العلاقة بين الأزواج، تفسد العلاقة بين الآباء والأبناء، أعمال كثيرة جداً، مثلاً قد تعمل عملاً يجلب الشباب، من لا يجد معه يسرق، شيء ممتع وليس له فائدة إطلاقاً، ألعاب ما لها فائدة إطلاقاً، ممتعة، فهذا الشاب أنفق المال الذي معه، لم يكتبه، أخذ من أمه، بعد ذلك أخذ من أبيه بإلحاح، بعد ذلك دون أن يعلموا، دخل بالحرام حتى تربح أنت، وعمل غير مجد، اختار حرفة فيها نفع للناس، اختار حرفة تكون حلالاً مئة بالمئة، أنا لست متشددأً بهذا الموضوع ولكنني أضع النقاط على الحروف، الآن هناك حرف لا تعد ولا تحصى، أكثرها يبني

الربح فيها على فساد الأخلاق، أو على فساد العلاقات، أو على ضياع الشباب وانحرافهم.

أيها الأخوة، أتمنى على الله عز وجل أن تقلب هذه الآية إلى سلوك يومي:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَاب﴾

والمؤيد القانوني:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

نجد قصصاً كثيرة جداً عن هذا الذي بنى مجده على أنفاس الناس، أو على فساد أخلاقهم، أو على فساد علاقاتهم، أو بنى ثروته على فقرهم، له نهاية عند الله سواء في الدنيا أو في الآخرة، ليس شرطاً في الدنيا لأن الله يعاقب بعض المسيئين رداً لبقية المسيئين ويكافئ بعض المحسنين تشجيعاً لبقية المحسنين.

والحمد لله رب العالمين